الشمس والقمر

قصص قصيرة للصغار

تأليف

شانوان شمايد

ترجمة وتقديم

خديجة خطاب

رسوم

محمد قطب



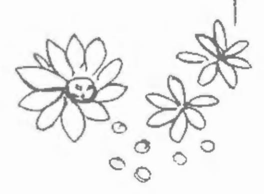
الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

شمسى وقمرى

هانى ونهى

خديجة خطاب





للصغار .. والكبار أيضا !

هذه القصص القصيرة للصغار ، إخترت لها عنواناً « الشمس والقمر » استوحيته من قصتين من قصص المجموعة ، لأن المؤلفة « شانوان شمايد » لن تضع للمجموعة عنواناً .

وبرغم أن القصص كتبت للصغار . ولا أقول للأطفال ــ إلا أنها تصلح تماماً للكبار . . فقد قرأتها وتأثرت بها ــ لما فيها من حكمة وموعظة ــ قبل أن أفكر فى ترجمتها ؛ ولم أشرع فى الترجمة إلا بعد أن « حكيتها » لصغيرىّ « هانى ونهى » وشعرت باستجابتهما وانفعالهما وتفاعلهما . .

ومن خلال صغيرىّ رأيت أن أقدم هذه القصص لكل الصغار فى مصرنا وفى وطننا العربى أيضاً . . ومن خلالى رأيت أن أقدمها للكبار كذلك ؛ فما نقرأه قد لا يطلع عليه صغارنا ، أما ما يقرأه صغارنا فنطلع عليه نحن بالضرورة . .

وأنا على يقين من أن المعرفة والثقافة والمتعة والفائدة ، متوفرة فى هذا الكتاب لكل من يقرأه صغيراً أو كبيراً ، خاصة وأن الفنان « محمد قطب » قد أضاف إليه وأضفى عليه من سمو فنه ، إخراجاً وألواناً ولوحات ورسومات ، جعلته بحق جديراً بالقراءة والفرجة والاطلاع !

خديجة خطاب



(١)

الشـــمـــس

عنـد هبوط الليـل ، وبعد يـوم من العمل الشـاق فى الحقول ، عادت الأم الشجاعة إلى بيتها ، بصحبة ولـديها عقب توقفهما لوداع والدهما المتجه فى هذا اليوم إلى المدينة .

وأثنـاء فتحهما بـاب البيت أسعدتهـما رؤيـة المصبـاح المضىء فوق المائدة ، فالأطفال الصغار لا يحبون الظلام .

صاح الصغير وهو يرى الضوء قائلاً : « يا للسعـادة ! من الذى أضاء المصباح إذن ، فلم يكن بالبيت أحد ؟! » .

ردت الصغيـرة قـائلة : « من يكــون إذن إن لم يكن والدنا ، فلابد أنه عاد من المدينة قبل عودتنا ! » .

واندفع الاثنان إلى الغرفـة المجاورة تغمـرهما السعـادة فوجدا والدهما الذى أخذهما بين ذراعيه .

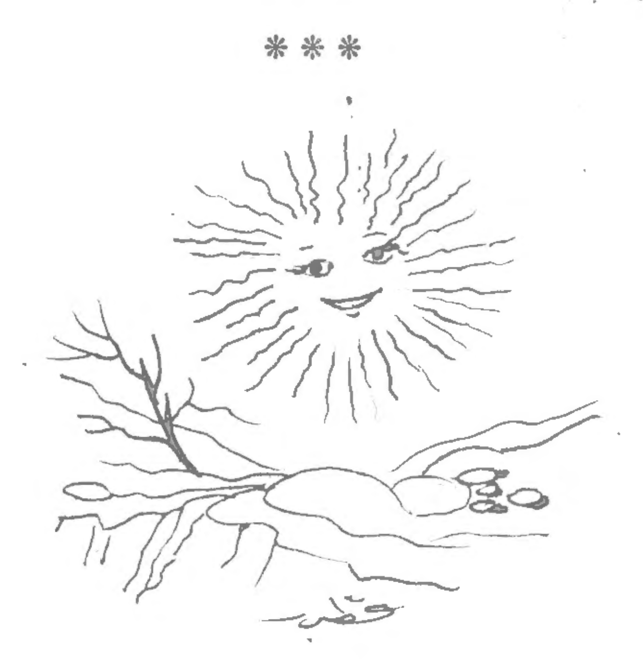
وفى اليوم التالى ذهبت كل الأسرة إلى غرفة كبيرة لتنقية العلف ، كان اليوم صحـواً ، شمسه مشـرقة رائعـة وأخذ الصغيـران يصيحـان وهمـا يلعبـان : « يــا لهـا من شمس جميلة ! » .

سألهما الأب : « قولا لى يا صغيرىّ ، هل يمكنكما أن تخمنا مثلما فعلتما أمس ، من الذى أضاء من أجلكما هذا النجم الرائع البراق ؟ » .

أجابت الصغيرة : « الله ، بكل تأكيد ، هو وحده القادر على إضاءة هذا المصباح الضخم فى قلب السماء » .

وأكد الصغير قول أخته « طبعاً ، فالله هو الذى خلق الشمس والقمر والنجوم ، كما خلق الزهور والأشجار وكل ما يحيط بنا » .

* * *





(٢)

القمـــر

كان الأب قد ذهب إلى المدينة مع طفله الصغير ، ولما تأخرا فى العودة ، خرجت الأم والإبنة للقائهما وبعد أن قطعتا مسافة طويلة ، وبعد أن أعياهما الاضطراب ظهر المسافران فى الأفق .

وعندما شاهد الصغير علامات الاضطراب على وجه أمه صاح قائلاً : « لم يواجهنا أى خطر يا أماه ، فقد أضاء القمر طريقنا منذ غادرنا المدينة حتى هنا » .

فصاحت الصغيرة قائلة : « ونحن أيضاً ، لم يتركنا القمر لحظة واحدة منذ غادرنا باب البيت حتى هنا » .

فرد الصغير قائلاً لأخته : « لا تقنعينى بذلك ، فكيف يمكن أن يسير القمر من القرية إلى المدينة وهو يسير فى الوقت نفسه من المدينة إلى القرية ، هذا مستحيل ! » .

قال له الأب : « كلا ، كلا يا بنى ، إنك تقول هذا لأنك لازلت صغيراً حتى تدرك كيف يتم ذلك الذى أدركه أنا بحكم سنى ، ولا عجب ففى الحياة ظواهر كثيرة تبدو

مستحيلة حتى لمن هم أكبر منى سناً ، وحتى للعلماء أنفسهم ، فنحن نرى مستحيلاً ما يعجز فكرنا المحدود عن فهمه ، لكن لا شيء يستحيل على إرادة الله . ولذلك فعلى كل إنسان مؤمن أن يؤمن وبدون شك بمعجزات الله التى تتبدى أمامه » .





(٣)

النجوم

قال الفتى لأخته الصغيرة ذات مساء : « أنظرى كم يتلألأ نجم الليل فى علاه ، إنه ولا شك أجمل نجم فى السماء » .

قالت الصغيرة : « لا شك أنه جميل ، لكنى أرى أن نجم الصباح أكثر تلألؤا » .

فرد الفتى بقوله : « ليس هذا ما أرى » .

واشتبك الشقيقان فى معركة كلامية ، وحتى ينهيا المعركة ، ذهبا إلى والدهما يطلبان منه معرفة أيهما على حق .

قال الأب : « كلاكما خاطىء فنجم الصباح الذى تشاهدانه مع الفجر هو نفسه نجم المساء الذى تشاهدانه فى الليل » .

وأضافت الأم قولها : « إذا كان نجم الصباح يبدو أكثر بريقاً وتلألؤاً ولمعاناً فلأنكما تشهدانه بعيون متيقظة ، فبعد ليلة جميلة ، كل شىء يبدو جميلاً مع أشعة النهار الأولى » .

إن الاستيقاظ المبكر ينعش وينشط ! .

* * *



(٤)

قــوس قــزح

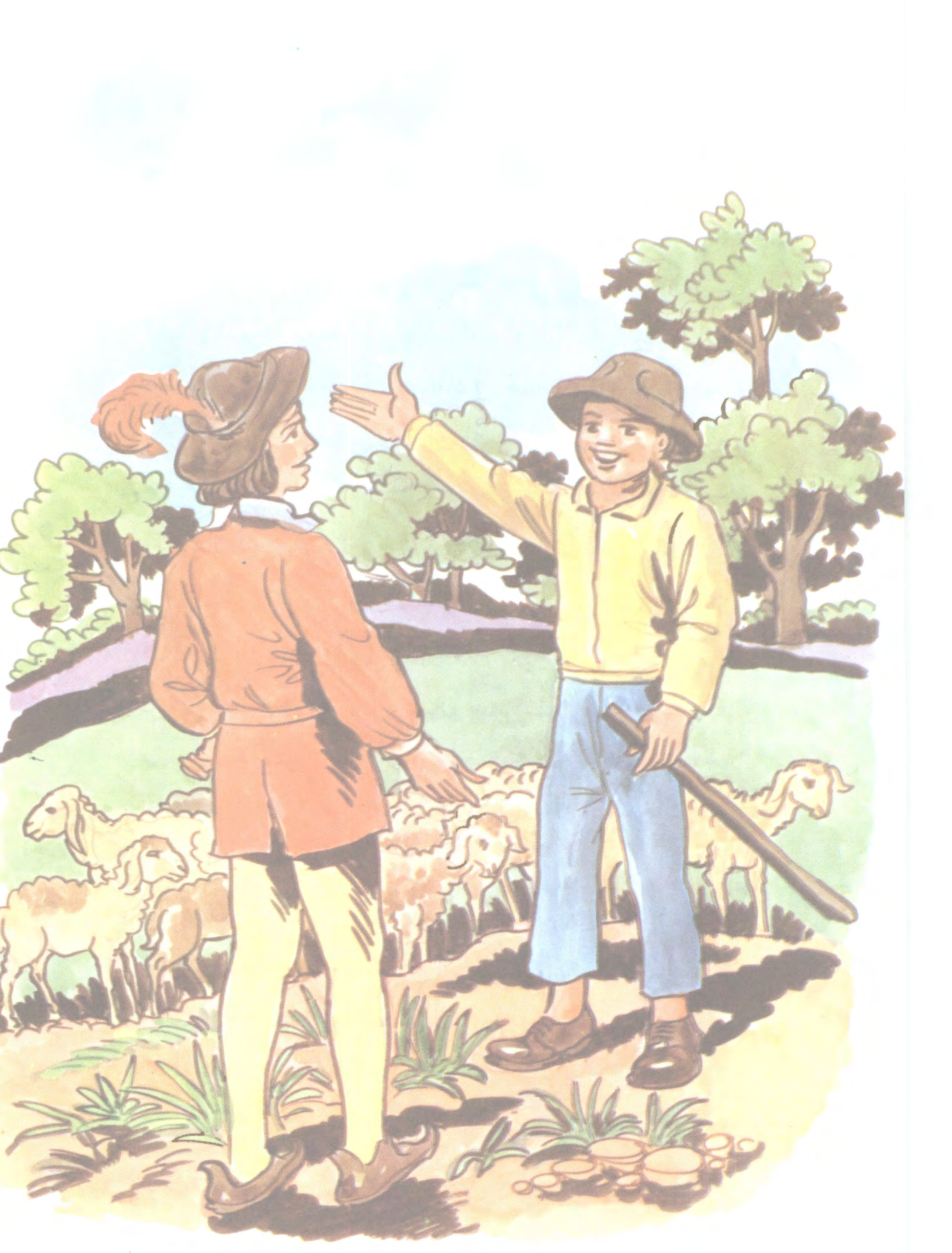
تأمل الفتى الصغير قوس القزح رائع الجمال الذى كان يرسم علامات فى الأفق وهو يقول : « لم أر فى حياتى أجمل من هذه الألوان ، وبهذا العدد الكبير ، وهى تمتد من الصفصاف العجوز هناك على حافة النهر حتى الحـديقة الـواقعة خلف البيت . إنها تلون ما يصادفها ، أما القطرات التى تسقط من فـوق أوراق الشجر فيمكننى أن أستخـدمهـا فى الـرسم ، ولذلك سأجمعها فى إنائى » .

وجرى الفتى الصغير نحو الأشجار وأخذ يهز فروعها ، ولكنه فوجىء بأنه يجمع فقط قطرات غير ملونة من الماء .

عاد إلى البيت مبتلاً مكدوداً . وعندما سأله والده عن السبب ، قص عليه مغامرته .

فقال له الأب : « إسمعنى جيـداً يا بنى ، بـدت لك قطرات الماء ملونة من بعيد لأنك كنت ترى فيها انعكاسات أشعة الشمس ، ولكنها لم تكن ملونة أصلاً . وهذا ما يحدث فى الحياة ، فما كان يبدو لنا على البعد مليئاً بالسحر ، يصبح لا معنى لـه عندمـا نختبره عن قـرب . فـاحـذر المـظاهـر الخادعة ! » .

* * *



(٥)

الـراعـى السعيـد

ذات صباح صحو من أيام الربيع ، أخذ الراعى السعيد يغنى بصوت مجلجل وهو يرعى خرافه فى وادى الزهور أسفل الجبال المتوجة بالغابات الخضراء ، وكلما نظر إليها واصل غناءه . سمعه أمير كان يصطاد فى هذه المنطقة فاستدعاه ، فأجابه الراعى الصغير دون أى اضطراب : « ولماذا لا أكون سعيداً ؟ إن أمير البلاد ليس أغنى منى بكل تأكيد » .

قال له الأخير : « حقاً إحْصِ لى إذن كل ثرواتك » .

أجابه الراعى الصغير : « بكل سرور ، عندى أولاً ، الشمس التى تشرق ولى يدان مثل يديه لست على استعداد لبيعهما بطائل الأموال ، وعينان أعتبرهما كنزين . ولدَىَّ كلٍ ما أرغب واشتهى حتى أشبع وأحقق فى كل عام بعملى دخلاً يفوق ما أنفقه . فهل تستطيع القـول بأن الأمـير أكثر منى ثراءً ؟ » .

فضحك الأمير وقال للراعى الصغير بعد أن كشف له عن شخصيته : « عندك حق أيها الراعى الشجاع ، إبق على حالك ولا تتخلَّ عن سعادتـك ، فالقنـاعة هى التى تجلب الثراء » .

* * *

(٦)

البستانى الخير

عرف البستانى العجوز الطيب بكرمه الزائد نحو الفقراء . فكم من مرة ضحىّ فيها بكل ما ادخره من مال ليشترى به احتياجاته أو ليسعد به نفسه . فقد كان يقول فى كل مرة : « سأحصل على تفاحة إضافية من وراء السياج » .

سمع أحد الأشخاص هذه العبارة فطلب منه تفسيرها . فقال له البستانى : « فى أحد الأيام سمحت لمجموعة من الصغار بالدخول إلى البستان وأكل الفاكهة الطازجة بشرط ألا يضعوا شيئاً منها فى جيوبهم . ولكن لم يفت أكثرهم مكراً ودهاءً أن يلقىَ خارج السياج بأطيب ثمرات التفاح حتى يستولىَ عليها عند الخروج من البستان . غضبت منه ومنعته من المجىء بعد ذلك مع زملائه ، وكما تمتص الفراشة فى كل مرة من النبات السام عسلاً شافياً ، استخلصت أنا أيضاً من هذه الحديقة درساً مفيداً . وقلت لنفسى لماذا لا يتصرف الناس على نحو ما فعل هذا الصغير . فنحن نملك كل طيبات هذا العالم ولا نستطيع أن نحمل معنا

شيئاً إلى العالم الآخر . وإنما أعمالنا الصالحة وحدها هى التى سنلقاها فيها وراء القبر حيث ترد لنا الجزاء . وهكذا وفى كل مرة نفعل فيها حسنة ، إنما نلقى إلى الحياة الأخرى بثواب للآخرة .

ولنذكرُ أنفسنا جميعاً بهذا القول المأثور :

أن نعطىَ للفقراء ، إنما نرضى الله .

* * *



(٧)

الصـانـع المـاهـر

كـان الصانـع الماهـر يكسب أمـوالاً كثيـرة من عمله وجهده ، لكنه لم يكن يحيا حياة سهلة ، فنادراً ما كان يمنح نفسه الراحة .

سأله خراط من الناحية ذات مرة : « مـاذا تفعل إذن بكل ما تكسبه ؟ » .

فقال له النجار : « أحتجز جزءاً لأسدد به ديونى وأدخر الجزء الآخر هو وفوائده » .

فعلق الخراط بقوله : « إنك تهزل ، فلا أنت تنفق كثيراً حتى تتجمع عليك الديون ولا أنت تكسب كثيراً حتى تدخر رأسَمالٍ يُعطى أرباحاً .

رد عليه النجار قائلاً : « أنت المخطىء ، وسأثبت لك أنى على حق . فأنا أعتبر كل ما أنفق على والدىّ منـذ يوم مولدى ديوناً مقدسة كما أعتبر كل ما أنفقته أنا عـلى أبنائى رأس مال مربحاً . وبهذا أبرىء ذمتى نحو والدىّ من ديونى الأولى وأتأكد من أن ابنائى «سيردون لى فيها بعد فوائد رأس المال الذى أنفقه فى تربيتهم » .

* * *

(٨)

الأم الحانيـة

تلقّت فتاة صغيرة ذات يوم رسالة من صديقة عائلية لها تغـدق فيها مـديحهـا لـدرجـة أن أمهـا أظهـرت الاستيـاء والانشغال .

رأت الفتـاة الدمـوع تلمع فى عينى أمهـا فصـاحت : «أوه ! يا أمى العزيزة ، لماذا تتألمين ؟ تكفى ، أؤكد لك ، دمعة واحدة من دموعك لتمسـح حتى آخر حـرف كلمات المديح الخطرة هذه » .

فاحتضنت الأم ابنتها من فرط السعادة التى أدخلتها على فؤادها هذه الكلمات الطيبة وأعطتها على الفور خاتماً مرصعاً بالماس الذى يتلألأ فى ضوء الشمس مثل قطرات ماء الورد .

وقالت الأم لابنتها فى الوقت نفسه : « أرجو أن تعدينى بأن تلقى نظرة عـلى هذا الخـاتم كلما أغدق أحـد بالمـديح عليك ، وتخيلى دموع أمك وهى تبرق مثل الماس » .

* * *

(٩)

السنــونــو

عندما تعود مجموعات طائر السنونو الساحر فى الربيع ، تطير مباشرة فى اتجاه عششها القديمة حيث تستقر فى سعادة بالغة .

اتخذ زوج من السنونو مكانه فى العش الذى بناه فى العام الماضى داخل ممر إحدى المزارع .

فقالت المزارعة لأبنائها : « لا تطردوا هـذه العصافـير الجميلة ولا تزعجوها فى ذهابها وعودتها . فمن يطرد السنونو من بيته ، يطرد السعادة فى الوقت نفسه . أنظروا إلى جارنا ، هدم العشش التى كانت تعلو مخزنه وكسر البيض بلا رحمة . فماذا حدث له ! أخذ يأتى بأفعال سيئة منذ ذلك اليـوم ، وانتهى به الأمر إلى تدمير نفسه تماماً » .

وبعـد أن استمع الصغـير باهتمـام إلى توصيـات أمه وتساءل كيف يتسبب موت السنونو فى تدمير جارهم ، توجه إلى والده يسأله فقال له الأب : « هذا أمر طبيعى ، فإذا كان جارنا قد طرد السنونو ، فلأنه لم يكن يرغب فى الاستيقاظ

مبكراً بسماع تغريدها . فهو فى الواقع كـان يقضى معظم الليل خارج البيت ، وكان ينام فى الصباح فى الوقت الذى كان ينبغى عليه فيه أن يذهب إلى العمل . وبطرده للسنونو ، أضاع من كان فى إمكانه تذكيره بـواجبه . وهكـذا ترك فى نفسه رويداً رويداً للتراخى والكسل : فاستدان بحيث حل الخراب فى بيته محل السعادة » .







(١٠)

العصفـور

قال الطفـل الصغير لأختـه الصغيرة : « أنـظرى هذا العصفور الرائع برأسه الأسود وهو يقف على شجرة التفاح ، سترين كيف سأمسك به » .

وتسلق الشجـرة ليضـع عليهـا فخـاً . ثم اختفى الصغيران فى جب مجاور لمراقبة العصفور .

ووقع العصفور الصغير بالفعل فى الفخ . وفى لمح البصر تسلق الطفل الصغير الشجرة ، لكن فى اللحظة التى اقترب فيها من العصفور ، كُسر فرع الشجرة وسقط الطفل الصغير بعنف على الأرض .

ونهض بعد أن تهشمت ذراعه ، بينما انتهز العصفـور فرصة انفتاح الفخ واستعاد حريته .

صاحت الصغيرة : « أخى المسكين ! من الأفضل ألا تتسلق بعد ذلك الأشجار للإمساك بالعصافير ، وإلاَّ ستكسر ذراعك يوماً وساقاك » .

فقال الطفل الصغير : « أوه ! ليس هذا ما سيمنعنى من تسلق الأشجار ، ولكنَّ حذر ذلك العصفور وحده هو الذى سيمنعه من الوقوع بعد ذلك فى الفخ ، بعد أن تحرر الآن من سجنه » .

فقالت الصغيرة : « صحيح ! الحيوان الصغير هذا أعقل منك إذن ، فهو يستفيد من الخطر الذى زال عنه ، بينما لا تخشى أنت رغم جرحك من أن تعرض نفسك مرة أخرى ، ربما للموت ! » .





(١١)

الحـجَـل

عثر صبيان على عش حجل فى حقل قمح عند طرف إحدى الغابات . وأخذا البيض فى الوقت الذى أمسكا فيه بالعصفور الذى كان يحتضن فيه بيضه .

فقال الأكبر سناً : « خذ البيض ، فهو ينفع أكثر من الحجل الذى سأحتفظ به لنفسى .

فرد عليه الأصغر سناً قائلاً : « خذه أنت ، فأنا أحب أن أحصل على الحجل » .

لكن الأكبر لم يشأ أن يخضع ، فدخل فى مناقشة صاحبتها على الفور ضربات يد وضربات أقدام .

ونتج عن ذلك ما يسهل تخمينه : أنقذ الحجل نفسه وتكسر البيض . فأدركا متأخراً جداً حماقتهما وفهما كيف كان والداهما على حق عندما قالا :

« من المفيد الاقتناع ببيضة أكثر من التعارك على بقرة » .

* * *

(١٢)

الببغــاء

جلب بحار عجوز من مقاطعة بعيدة ، ببغاء له ريش متعدد الألوان وملوّن . وعد به ابنة التاجر حتى ينفق بثمنه على سفره .

وفى أثناء رحلته البحرية ، فى طريق عودته إلى بلده ، أصيب الملاح بأزمة صدريـة حادة ، أعفى عـلى أثرهـا من مزاولة أى عمل على ظهر المركب . وانتهز فرصة فراغه ليعلم الببغاء بعض الكلمات فيدخل السعادة بالتـالى على الفتـاة الصغيرة .

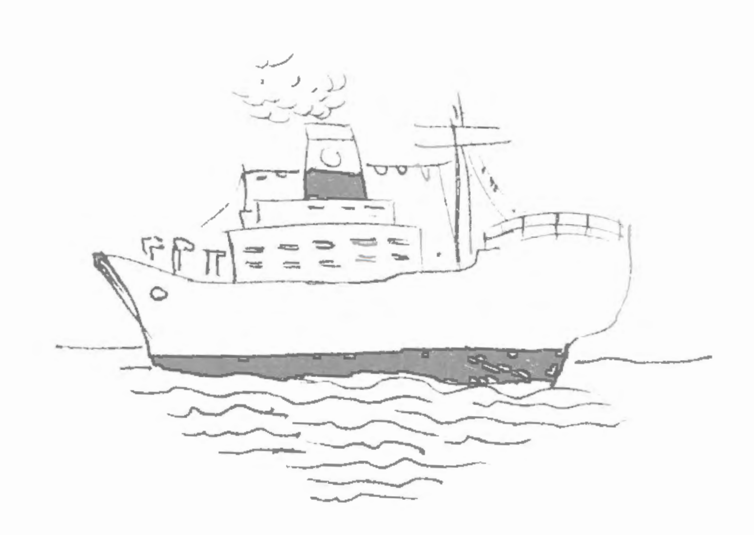
وما ان ترك المركب حتى هرع ليقدم هديته . وتعجب الأهل والفتاة عندما سمعوا العصفور يصيح فجأة قـائلاً : « تحيا الصغيرة فاتى ! » ولكنه ما لبث أن غرق فى السعال وهو يلهث بطريقة هزلية لدرجة أن الجميع انفجروا ضاحكين .

قـالت الصغيرة : « يـا له من حيـوان غبى ! ألم يكن ليفهم أنه كان عليه أن يردد فقط كلمات سيده دون أن يقلد سعاله ! » .

فقالت الأم : « فليبعد هذا الحيوان الأبله ! » .

فرد الأب قائلاً : « ليس أبلهاً إلى هـذا الحد ، فلقـد أعطانا بذلك درساً جميلاً وهو يذكرنا أننا أيضاً نقلد الشر كثيراً بدلاً من الاكتفاء بتقليد ما هو خير وما هو عدل ! » .

* * *





(١٣)

الـتـوت

عبر جندى عجوز ، له ساق خشبية ، ذات يوم إحدى القـرى بصعوبـة بالغـة . أحس فى الحال بضيق شـديد ، اضطره إلى العدول عن مواصلة طريقه والدخـول إلى أحد المخازن ، لمحته فتاة صغيرة من خلف الباب وهو نائم يتألم ، أعطته قطعة من ذات الخمسة قروش ، فهى تتمتـع بقلب غاية فى الطيبة . وعادت إليه فى اليوم الثانى والأيام التاليـة وكانت تقدم له فى كل مرة القطعة ذات القروش الخمسة .

ولما كانت هذه الفتاة ابنـة لصانـع سلال فقـير ، أخذ الجندى الشريف يتسـاءل بقلق عن الطريقـة التى يمكن أن تحصل بها على هذه النقود .

وسألها ذات مساء : « عزيزتى الصغيرة قولى بصراحة من أين تلك النقـود التى تحضـرينهـا لى ، فهى ليست من والديك لأنهما ، كما أعلم ، فقيران تمـاماً . وأنـا أفضل أن أموت جوعاً ، على قبول مليمٍ واحدٍ يضطرك إلى الإحمرار هكذا .

قالت الفتاة : « أوه ! لا تخش شيئاً ، كسبت هذه النقود بشرف ، كما سترى ، فعند عودتى من المدرسة أمر بغابة صغيرة مليئة بالتوت ، أجمع منه كل يوم ما يملأ سلة صغيرة وأبيعه على الفور فى السوق مقابل خمسة قروش . ويعلم والداى ذلك ويشجعانى عليه . فهما دائماً ما يقولان لى : « يوجد أيضاً أناس أكثر منا فقراً ، وعلينا أن نساعدهم قدر المستطاع » .

تأثر الجندى العجوز وهو يستمع إلى هذه الكلمات ، لدرجة أنه لم يستطع أن يحبس دموعه : فقال : « أيتها الفتاة الشجاعة ، باركك الله أنت ووالديك ، لمشاعركم وإحسانكم ! » .

بعد فترة قصيرة ، مر بالسوق فى موكب كبير ضابط عظيم ، تغطى صدره النياشين . توقف بفندق القرية حتى تستريح جياده ، وهنا سمع حكاية الجندى المريض ، فذهب إليه على الفور ، وعلم منه بكرم الفتاة الصغيرة .

صاح الضابط : « كيف وجدت فتاة فقيرة ، الطريقة لعمل هذا من أجلك ! سيكون مخجلاً إذا لم يستطع قائدك القديم أن يفعل أكثر من ذلك . أريد أن تنقل على الفور إلى الفندق لتلقى الرعاية التى تحتاج إليها » .

وما أن استقر الجندى ، بناء على أوامر الضابط فى حجرة جميلة ومريحة ، حتى توجه الضابط إلى الأسرة الفقيرة .

قال للفتاة الصغيرة وهو فى غاية التأثر : « عزيزتى الصغيرة كرمك أثر فى حتى انحدرت دموعى وانتعش قلبى ، وفى مقابل كل قطعة نقود أعطيتها للجندى ، سأعطيك قطعة ذهبية .

فصاح أفراد تلك الأسرة الشجاعة غير مصدقين : « أوه ! هذا كثير ، كثير جداً ! » .

فعلق القائد بقوله : « كلا ، كلا ، ما هذا إلا مكافأة بسيطة ، بالقياس إلى المكافأة التى يدخرها الله فى الحياة الأخرى للمحسنين » .

* * *



(١٤)
(الكـــرز)

كانت الفتاة ابنة لأسرة بالغة الثراء . كانت لها حجرة مزينة بفراش جميل ومجهزة بأثاث جذاب . كان منظر هـذه الحجرة سيكون مريحاً تماماً لو . . لو لم تكن دائماً فى فوضى مخيفة . وكانت أم الفتاة قد أكثرت من النصائـح والعتاب بدون فائدة .

وفى يوم من أيام الأحد بعد الظهر ، عندما أنهت الفتاة زينتهـا وتهيأت للخـروج مع والـدتها ، أحضـرت جارتهـا الصغيـرة سلة مليئـة بحبـات الكـرز الأسـود ، الكبيـرة والشهية . بعد أن شكرت الفتاة صديقتها ، أخذت تبحث عن مكان تضع فيه السلة ، ولكنها لم تجد ، فالحجرة كانت مليئة بأشياء مبعثرة هنا وهناك ، تحت المقاعد وفوق الموائد . وضعت الفتاة سلة الكرز بالصدفة على مقعد وثير جميل مغطى بالحرير الأزرقِ ، وخرجت مع والدتها .

وعند عودتها فى المساء ، كانت مجهدة ، فألقت بنفسها وهى تدخل إلى حجرتها على أول مقعد قابلها .

ولكنها وقفت بسرعة وهى تطلق صرخة فزع . فلم تجلس فوق سلة الكرز التى تلقتها بعد الظهر ، جلسة مريحة ! .

وجرت أمها على صرختها لتتحقق من الكارثة . كانت كل حبات الكرز قد عصرت ، وسكب العصير الأسود ليس فقط على حرير المقعد الجميل ولكن أيضاً على ثوبها الأبيض ، وهو ثوب جميل وجديد من الصعب أن تجد مثله .

زجرت الفتاة بشدة بعد أن عوقبت تماماً على الفوضى التى تعيش فيها .





(١٥)

(العـــنـــب)

انتهزت الفتاة الجو الصحو ليوم جميل من أيـام بدايـة الخريف لتقوم بنزهة . وعند عودتها فوجئت تماماً بوجود سلة على مكتبها مليئة بعناقيـد العنب الرائعـة : بعضها سـوداء مخملية والبعض الآخر ذهبية وشفافة كأشعة الشمس .

سألت مفتونة : « من أين عناقيد العنب الجميل هذه ، ولماذا وضعت فى حجرتى ؟ » .

قالت الأم : « إنها لك . صديقتك ، التى يملك والداها حديقة غنية بالفواكه ، وجدت سعادة فى أن ترسل لك أولى بشائر العنب الناضج» .

فصاحت الفتاة : « يا لها من صديقة طيبة وساحرة ! كم أنـا سعيـدة لأنها فكـرت فى ، أريـد أن أكتب لهـا فـوراً لأشكرها . وأريد أن أتمكن من عمل مفـاجأة . ممـاثلة لها بدورى» .

فقالت الأم : « كم أنا سعيدة يا بنيتى أن أراك عـارفة لجميل صديقتك ، ولكنك تسببين لى فى الوقت نفسه شيئاً من الحزن . فكرى فى الفاكهة الكثيرة التى جنيتيها بالفعل من حديقتنا منذ طرحت التوت حتى اليوم ! ومع هذا لم أسمعك أبداً تعبرى عن عرفانك لجميل الله . أليست كل فاكهة هبة من هباته الطيبة ، لمـاذا لا تلاحـظين أيضاً كـرمه ولمـاذا لا تبحثين عن إسعاده بدورك ؟ لا تنسى منذ الآن أن تشكريه كل يوم على عطاياه لك » .

* * *



(١٦)

السوسن

كانت الفتاة الصغيرة ، ابنة بائع الجرائد الفقير ، مريضة . وكانت ابنة عمدة القرية ، تجىء كل يوم لرؤ يتها وتقديم بعض الحلوى لها .

وعندما شفيت المريضة الصغيرة ، لم تنس فضل صديقتها عليها .

وقالت لنفسها : « فقط لو منحنى الله القدرة على تقديم خدمة لهذه الآنسة الطيبة ، كم سأكون سعيدة ! » .

وما أن علمت أن صديقتها تفضل السوسن ، حتى أخذت تذهب كل يوم إلى الغابة تقطف بشائر الزهور الأولى . وفى أوائل شهر مايو ، لمحت أخيراً باقة كاملة تحت شجرة بلوط عجوز . قطفتها ثم جلست تحت الشجرة لتنسق باقة كبيرة . وكانت على وشك الانتهاء من تنسيقها عندما ارتفع صوت صاخب فى غابة مجاورة . أنصتت الفتاة .

رجل كان يقول : « سأتمكن أخيراً من الانتقام من العمدة الذى أدخل أخى السجن ، معى مفتاح منزله الذى تركته الشغالة ببلاهة فى الباب » .

فأجاب رجل آخر : « عظيم ، نقتل العمدة وزوجته وابنته الليلة ونسرق كل النقود التى نعثر عليها » .

وقفت الفتاة بسرعة وقد أفزعها هذا الكلام ، ودون أن تحدث ضوضاء ، سلكت مضيقاً مختصراً يؤدى إلى طرف الغابة .

وأخذت تجرى بعد ذلك لتعطى الزهور لصديقتها وتحكى لها ما سمعته . أما العمدة ، الذى نبهته الفتاتان الصغيرتان بسرعة ، فعين مع هبوط الليل رجالاً مسلحين عند مدخل البيت . وعندما جاء السفاحون ، فى منتصف الليل ، ليفتحوا الباب . قبض عليهم فى الحال وأرسلوا إلى السجن .

فى اليوم التالى قال العمدة لابنته : « عزيزتى الصغيرة ، أنظرى أى بركة حلت على بيتنا بإحسانك . ففى مقابل ما فعلتيه مع صديقتك ، أتاح الله للفتاة العزيزة أن تنقذ حياتنا ؛ وهكذا يكافىء ، على حسب وعده ، أقل حسنة بأضعاف مضاعفة » .

* * *

(١٧)

الثـوب الجـديـد

طلبت الأم من الحائكة تفصيل ثوب جميل من الساتان الأزرق المخطط لابنتها . فلما جاءت الحائكة بالثوب فى ليلة العيد ، أرادت الفتاة من فرط سعادتها أن تجربه ، وارتدته بالفعل .

قـالت الأم : «اذهبى يـا بنيتى لإحضـار كـأسٍ من الشراب الساخن يدفىء هذه السيدة الفاضلة ، فالجو شديد البرودة هذا المساء ، لكن خذى معك شمعة حتى لا تخاطرى بالاصطدام بشىء فى المطبخ » .

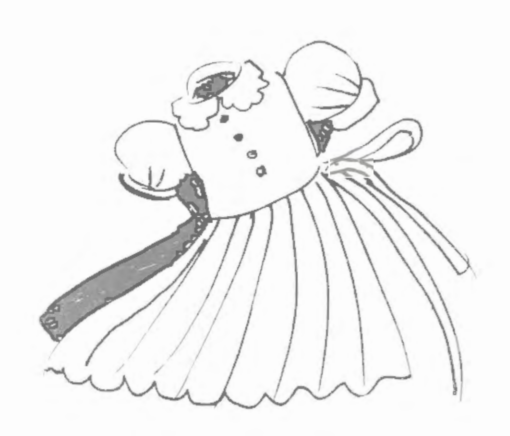
جرت الفتاة لتبحث عن الشراب وعادت لتقدم كأساً صغيرة للحائكة . لكن ما أن وضعت الحائكة الكأس على شفتيهـا حتى أعادت السـائـل رغـماً عنهـا دفعـة واحـدة . ويا للكارثة ! كان السائل حبراً ! .

فلما لم تنصِتِ الفتاة لنصائـح أمها ، ولم تحمّـل نفسها مشقـة إشعـال شمعـة ، فقـد أخـطأت فى الـظلام رؤ يـة الزجاجات .

ولم تكتف بمحاولة التسبب فى تسميم الحائكة ، ولكن ثوبها نال جزءاً من الحبر الملقى . ويا لها من كارثة ! لم تتمالك الفتاة المسكينة دموعها .

قالت أمها : « هـذه هى يا صغيـرتى المسكينة نتيجـة عصيانك ، تلف ثوبك ولن تتمكن الحائكة من صنع ثوب آخـر لك بـدلاً منه ، وستضـطرين لقضاء العيـد بثـوبـك القديم .





(١٨)

المعطـف القديـم

وفى وقت من أوقات الشتاء البارد الممطر ، توقف بعض الجنود خلال الحرب الأخيرة فى قرية للبحث عن مرشد .

تولى بائع جرائد فقير مهمة اصطحابهم ، لكنه قبل أن يرحل معهم ، طلب من الفلاحين إقراضه معطفاً يقيه من الريح والمطر الشديدين .

لم يهب أحد لمساعدته ، فيما عدا عجوز حل بالقرية منذ فترة وجيزة ليعمل بالحدادة ، هو الذى رأف بحال بائع الجرائد وأعطاه الثوب الوحيد المستعمل والمرقع الذى يملكه .

صحب المرشد الجنود ، وفى اليوم التالى وصل إلى القرية ممتطياً جواده ضابط شاب وبديع يرتدى زياً رائعاً ، سأل عن الرجل الذى أعطى معطفه للمرشد ، فأوصله البعض حيث يقيم العجوز .

صاح العجوز وهو يرتمى بين ذراعى الضابط الشاب : « شكراً لله ! إبنى العزيز ! » .

كان العجوز قد فر أثناء الحرب ، بينما ظل ابنه يحارب فى صفوف الجيش تأدية لواجبه ، ففقد كل منهما الآخر ، إلى أن تعرف الإبن على معطف والده وهو ينظر صدفة إلى ما يرتديه المرشد الذى صحب جنوده .

وهكذا كان لقاؤهما مؤثراً ، لدرجة أن الحاضرين مزجوا دموع فرحهم بدموع الأب والإبن .

وبعد ليلة كاملة قضاها الإبن مع أبيه ، رحل الإبن مرة أخرى ليس قبل أن يعطيه مبلغاً كبيراً من المال يكفى احتياجاته لفترة طويلة .

أخذ أبناء القرية يتهامسون : « لو لم يرأف العجوز بحال المرشد ، لما رأف الله به ولما بعث إليه بابنه الذى أنقذه من البؤس » .

إن الله رؤوف رحيم بكل رؤوف رحيم ! .

* * *

(١٩)

الحـــذاء

لم يكن راعى الماعز يحصل على أجر كاف ، لدرجة أنه لم يتمكن من شراء حذاء يقيه برد الخريف وأمطاره الكثيفة .

وبينما هو يراقب الماعز ذات يوم ، خرج أحد اللصوص المعروفين من الحقل وقال له : «أنت تمارس هنا مهنة تعسة ، إن مهنتى أفضل بكثير ، فإذا أردت أن تساعدنى ، أعطيتك حـذاء جيداً لا يجعلك تشعـر على الإطـلاق ببرودة الـطين اللاصق بقدميك العاريتين » .

فقال له راعى الماعز : « أفضل بؤسى على ثـرائك ، وأحب أن أتألم من البرد طوال حياتى وأن أضع قدمى فى الطين دون أن ألطّخ ضميرى بما تأتى به من أفعال . فأنا فقير حقاً ، ولكنى شريف ، هذا هو شعارى » .

* * *

(٢٠)

مسمــار الحــذاء

كان صانـع الأحذيـة يعمل ليـل نهار بهمة ونشـاط ، لدرجة أن الناس أطلقوا عليه هذا الوصف « بدون راحة » .

وكان هؤلاء الناس يسعدون برؤيته وهو يضرب الحديد بقوة ويجذب الخيوط من كل اتجاه ، حتى إن كثيراً من المارة كانوا يتوقفون لمشاهدته ومن بينهم صبى من أثرياء الحى .

وذات مرة قال صـانع الأحـذية لهـذا الصبى : « من الأفضل لك أن تتعلم كيف تدق مسماراً فى حذاء ، من أن تضيـع وقتك فى الثـرثرة ، فمن يـدرى ربما احتجت يـوماً للعمل » .

راقت الفكرة للصبى ، فجلس إلى السندان واستطاع بفضل توجيهات صانـع الأحذيـة أن يتقن العمل بـطريقة بارعة .

وبعد فترة وجيزة ، فقد الصبى أباه وثروته معاً . وكان عليه أن يترك قصر والده والمدينة أيضاً ، ويذهب للبحث عن عمل يتعيش منه فى مكان آخر .



وعند مروره باحدى المدن ، علم أن عدداً من محلات الأحذية مكلفة بصنع آلاف الأحـذية للجيش ، تعـانى من نقص المسامير الضرورية . فذهب على الفور وعرض إمكانية تصنيع هذه المسامير محلياً تجنباً لصعوبة الحصـول عليها من مدن أخرى . وكان طلبه الوحيد ورشة يعمل ويقيم فيها .

أجابه أصحاب هذه المحلات إلى طلبه ودفعوا له مقابلاً سخياً لعمله .

وتذكر صانع الأحذية الشاب قيمة ما تعلمه فى الأيـام السابقة ، وأخذ يردد قوله : « يا لها من سعادة ، أن تعلمت كيف أصنع مسماراً . فها أنذا أربح من مهنتى الجديدة أكثر ممـا كنت سأجنى من ممتلكـاتى ، تلك التى فقدت الآن قيمتها » .

مهنة نافعة أفضل من ثروة طائلة ! .

* * *

(٢١)

المــــرآة

كانت الفتاة الصغيرة سريعـة الغضب ، وكانت أمهـا تحاول ، دون جدوى ، أن تجعلها تفهم خطورة ومخاطر هذا العيب .

وذات يـوم ، كانت الفتـاة تجلس أمام مكتبهـا الـذى وضعت عليه مزهرية زهور جميلة . اقترب أخوها الأصغـر بـطريقة هـوجاء ، فقلب المـزهريـة التى تحـطمت إلى ألف قطعة .

وهكذا غرقت الفتاة الصغيرة فى غضب أسود ، خرجت عيناها من رأسها ، ونفرت عـروق جبهتها حتى كـادت أن تنفجر ، ففقدت صوابها .

اقتربت الأم منها ، دون أن تقول شيئاً ، ووضعت مرآة أسفل عينيها . لمحت الفتاة الصغيرة وجهها المكدر والمشوش بالكامل ، فانفجرت منتحبة .

قـالت الأم : « لعلك رأيت فى النهـايــة ، يـا طفلتى المسكينـة ، قبح الغضب كله ، ويمكنـك أن تدركى ، من

تشوه وجهك ، تشوه نفسك » .

أبدت الفتاة الصغيرة رغبتها فى أن تتحسن ، وبفضل محاولاتها المستمرة ، استعادت دماثة الطابع وسحـر وجهها الشاب .

فقد كانت أمها دائماً ما تقول لها : « تذكرى يا ابنتى أن الوجه هو مرآة النفس ، تشوهه الرذيلة وتجمله الفضيلة » .

* * *



(٢٢)

العــقــد

اتجهت إحدى السيدات النبيلات بسيارتها مع اثنتين من بناتها إلى أحد قصور الأمراء المقامة فى عمق الغابات . فقد كن مدعوات فى حفـل عرس وكن بـطبيعة الحـال فى أبهى ثيابهن ، تتحلين بالأحجار الكريمة واللآلىء .

عند مدخـل الغابـة ، لمست عربتهن الشجيـرات عن قرب ، حتى شبك فرع مدبب بشعر إحدى الفتاتين ونـزع عقد اللولى الذى كان يزينه .

ومـا أن رأت الأم هذا المشهـد ، حتى أطلقت صيحة مروعة ، جعلت الحوذى يوقف العربة ويهرول خارج كابينته ليساعد السيدات فى البحث عن اللآلئ .

كان الأمر يحتـاج لأكثر من سـاعة حتى يتم البحث . وكانت الفتاتان حزينتين وهما تفكران فى تأخرهما عن موعد الحفل ، ولكنهما توقفتا عن الصعود إلى العربة ، عندما أشار لهما بالتوقف ، حطاب قد تقطعت أنفاسه ويتمكن بصعوبة بالغة من الكلام .

قال الحطاب في النهاية : « سيداتي ، حمداً لله على الحادث الذي كاد أن يعترضكن . فبفضله ، وصلت في الوقت المناسب لكي أبلغكن أمر قطاع الطرق الذين يتربصون بكن في الغابة لسرقتكن . فما أن فوجئت بسرهم ، حتى هرعت لمقابلتكنّ ، ولكن كان عليّ القيام بمناورة كبيرة لكي أصل إلى هنا ، ذلك أن كل ركن في الغابة محاصر بقطاع الطرق . وبغير توقفكنّ الاضطراري كنت سأصل متأخراً جداً ، وكانت ستنهب مجوهراتكن وربما تم قتلكن أيضاً » .

شكرت السيدة الرجل الشجاع ، ومنحته مكافأة كبيرة . وبعد أن أمرت الحوذي بالعودة ، قالت لابنتيها :

« أنظرا كيف يدبر الله كل الأمور . فقد كانت حياتنا معلقة بالعقد الذي كان يحمل لآلئكما . وكانت ستسلب مع المجوهرات في الوقت نفسه . إن الحادث الذي تسبب في الكثير من حزنكما كان فيه سلامتنا . اعترافاً إذن بأن الحوادث التي تزعجنا تؤكد هي أيضاً ، إذا استطعنا أن نفهمها ، فضل الله علينا جميعاً » .

* * *

(٢٣)

الــوتــر

عثر اثنان من المتسولين فى طريقهما على وتر قديم ، أراد كل منهما أن يحتفظ به لنفسه . فنشأت بينهما مشاجرة مصحوبة بالصياح والصراخ . أمسك أحدهما بـطرف الوتـر وأمسك الثانى بالطرف الآخر ، وأخذ كل منهما يجذبه بكلتا يديه حتى يناله . وفجأة قطع الوتر ، وغرق المتعاركان فى الوحل .

توقف أحد العابرين على هذا الضجيج وقال لهما وهو يضحك ساخراً من خيبة أملهما :

« هكذا تنتهى المعارك عـامة ، يتم التـراجع بعـد أن يغطى الجميع بالخزى والهوان ، تماماً كما يغطيكما الوحل فى هذه اللحظة » .

* * *

(٢٤)

السلسلة

كان صَبِىّ من الأشقياء ، بل كان لصاً أيضاً ، لأنه إذا لم يختلس علناً ، استولى على كل ما يجده ، حتى لو عرف من هو صاحب الشىء .

ذات صباح ، وهو يمر أمام مصنع حديد ، لمح سلسلة جميلة على الرصيف ، ليس بعيداً عن الباب . وبعد أن تأكد بنظرة خفية من أن أحداً لا يراه ، استولى على السلسلة . ولكنه سرعان ما ألقى بها وهو يطلق صرخة ألم .

فقال له الحداد ، الذى اقترب منه مسرعاً : « خير ما حدث ، فقد وضعت هذه السلسلة المتوهجة بحرارة النار ، على الرصيف لكى تبرد . وأردت أنت أن تسرقها فأصابتك حروق بالغة ، وهكذا عوقبت تماماً . فإذا أردت ألاَّ تصاب بما هو أخطر من ذلك ، عليك أن تتجنب لمس ما يخص الآخرين مثلما حاولت أن تتجنب دون جدوى لمس الحديد المتوهج » .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع ١٩٩٠/٨٨٢٥

I.S.B.N. 977. 01-2612-8